

الحرب التي كانت في الماضي باردة أصبحت اليوم ساخنة

بعد مظاهر العولمة.. العالم في طريقه للانقسام إلى معسكرين

لم يعد خافياً أن التغيير الحاصل في النظام العالمي يمثل إعادة توزيع للقوى. ويبدو واضحاً الاختلال في نظام القطب الواحد، بقيادة الولايات المتحدة، المعمول به منذ الحرب الباردة، مع تراجع المنظمات والقوى التي كانت تمثل دعائم هذا النظام وصعود الصين وروسيا.

علي قاسم
كاتب سوري
مقيم في تونس



مخاطباً زعماء حلف الناتو الذين اختتموا قمتهم في بلدة وانفورد، على مشارف لندن، أكد الرئيس الروسي، فلاديمير بوتين، أنه ما زال يأمل أن تسود المصالحة بفضل تحقيق الأمن المشترك، والمستقبل الآمن والسلمي لكوكبنا، وللعلاقة بين روسيا ودول حلف شمال الأطلسي.

روسيا، كما أكد بوتين، منفتحة على التعاون مع حلف شمال الأطلسي، ومستعدة لمقاومة التهديدات الحقيقية، بما فيها الإرهاب الدولي والنزاعات المحلية المسلحة وخطر الانتشار المنفصل للأسلحة الدمار الشامل.

النوايا شيء، والأفعال شيء آخر، الحرب التي كانت في الماضي باردة، أصبحت حرباً ساخنة. حلف الناتو سارع للتمدد إلى جمهوريات سوفيتية، متاخمة للحدود الروسية، بعد تفكك الاتحاد السوفيتي. الخطوة التي رأى فيها بوتين تصرفاً "غير لائق وربما وقحاً".

توعدت روسيا أن ينهي تفكك الاتحاد السوفيتي الحرب الباردة، التي سادت العلاقات بين موسكو والغرب بعد الحرب العالمية الأولى والثانية، وانتظرت على الأقل من حلف الناتو أن يراعي المصالح الروسية.

إن كانت المخاوف بين روسيا ودول الناتو أمنية، فإن مخاوف الناتو تجاه الصين تجارية

تاريخياً تصنف كل من روسيا والصين، ضمن معسكر الأعداء، كلاهما خصم منذ زمن الحرب الباردة.

المفاجأة كانت في الموقف التركي، حليف الناتو، فقد شهدت العلاقات بين تركيا وشركائها في الحلف تدهوراً ملحوظاً في الفترة الأخيرة، بسبب عدد من القضايا، بدءاً بقرار أنقرة شراء أنظمة دفاع جوي روسية وصولاً إلى السياسات المتعلقة بسوريا. وأدان أعضاء في الحلف قرار أنقرة شن هجوم في شمال شرق سوريا على وحدات حماية الشعب الكردية.

ولم تكن هذه هي نقاط التدهور الوحيد، فخلال قمة لندن ظهر المزيد من الخلاف بين أنقرة والناتو. وقد أعد حلف شمال الأطلسي في مستهل قمة لندن خطط دفاع لحماية دول البلطيق وبولندا لمواجهة تطلعات التوسع الروسية الممكنة. لكن أنقرة رفضت الخطط، واشترطت للموافقة عليها، تصنيف الحلف العسكري لوحدة حماية الشعب الكردية من منظمة إرهابية.

في الماضي وحدات حماية الشعب الكردية

في الماضي وحدات حماية الشعب الكردية

في الماضي وحدات حماية الشعب الكردية

في الماضي وحدات حماية الشعب الكردية

في الماضي وحدات حماية الشعب الكردية

في الماضي وحدات حماية الشعب الكردية

في الماضي وحدات حماية الشعب الكردية

في الماضي وحدات حماية الشعب الكردية

في الماضي وحدات حماية الشعب الكردية

في الماضي وحدات حماية الشعب الكردية

في الماضي وحدات حماية الشعب الكردية

في الماضي وحدات حماية الشعب الكردية

في الماضي وحدات حماية الشعب الكردية

في الماضي وحدات حماية الشعب الكردية

في الماضي وحدات حماية الشعب الكردية

في الماضي وحدات حماية الشعب الكردية

في الماضي وحدات حماية الشعب الكردية

في الماضي وحدات حماية الشعب الكردية

في الماضي وحدات حماية الشعب الكردية

في الماضي وحدات حماية الشعب الكردية

في الماضي وحدات حماية الشعب الكردية



دقت ساعة التغيير

واتهمت دول غربية طهران بالوقوف وراء ضربات جوية استهدفت منشآت الإنتاج النفطي السعودي، وتسبب في ارتفاع أسعار الخام. وفي أكتوبر، انتقد وزير الدفاع الأمريكي مارك إسبر "الموقف الخبيث" لإيران و"حملتها لزعزعة استقرار الشرق الأوسط وتعطيل الاقتصاد العالمي".

هناك انقسام واضح بدأت معاملة تتضح، بين بحرب لن تكون باردة بين الولايات المتحدة ومعها باقي أعضاء حلف الناتو، والثاني بزعماء موسكو، ويشمل الصين التي تواجه حرباً تجارية أعلنها عليها الرئيس الأمريكي. وتقف على معبدة منه تركيا، التي لن تجد حرجاً في الانضمام إليه في حال لم تتم الاستجابة للمطالبها.

بينما تجد إيران نفسها خارج المعسكرين، إلا أنها ستكون مجبرة في النهاية على اختيار أحد الطرفين، في الغالب لن يكون الطرف الغربي. ولن يكون بمقدور الدول الأخرى البقاء خارج دائرة الاستقطاب، ففي عالم اليوم، وفق المنطق الأميركي، من ليس معنا فهو ضداً.

حلفائها في لبنان والعراق، ودعمها المباشر للنظام السوري وجماعة الحوثي في اليمن، عن دائرة المخاوف. وأوردت صحيفة وول ستريت جورنال الأربعاء أن الإدارة الأميركية تعزز تعزيز وجودها العسكري في الشرق الأوسط لمواجهة التهديد الإيراني، فيما نفى البنتاغون هذه المعلومات.

وكتبت الصحيفة أن الولايات المتحدة نشرت منذ الربيع 14 ألف جندي أضيفوا إلى حوالي 70 ألف عسكري متركزين أصلاً "لضمان الأمن في المنطقة". وتقلت وول ستريت جورنال عن مصادر لم تسمها، أن الرئيس الأميركي دونالد ترامب قد يعلن رسمياً خلال الشهر الجاري مضاعفة التعزيزات التي تم نشرها منذ مايو. كما أن البنتاغون قد يرسل أيضاً، إضافة إلى هذه القوات، العشرات من السفن الحربية الإضافية.

ووفقاً للصحيفة فإن الهدف من إرسال هذه التعزيزات هو ردع إيران عن شن هجوم على المصالح الأميركية في الشرق الأوسط. ووقعت حوادث وهجمات عدة خلال الأشهر الأخيرة من عام 2019 في المنطقة، نسبها مصادر عديدة -بينها واشنطن- إلى إيران.

الأمنية لانقرة، تتضارب بشكل واضح مع مصالح غالبية بلدان الناتو، التي ترى أن هذا التدخل العسكري التركي قوى بشكل كبير روسيا، منافس الحلف في المنطقة، ومكثها من توطيد وجودها في سوريا. وبينما يعمل رجب طيب أردوغان على تحويل "المنطقة الآمنة" في شمال سوريا إلى "ممر سلمي"، وتوطين لاجئين سوريين فيها مقيمين حالياً في تركيا، يرى شركاء الحلف أن العملية العسكرية التركية "مخالفة للقانون".

وقال أردوغان إن أعضاء الناتو ملزمون بإجراء تغيير يتيح اتخاذ مواقف صارمة تجاه كافة التنظيمات الإرهابية، مضيفاً أنه في حال لم يعتبر الحلفاء في الحلف "منظمة تحاربها إرهابية سنواجه أي خطوات يمكن أن تتخذ هناك"، في إشارة إلى خطة الناتو للدفاع عن دول البلطيق.

وفيما تضغط أنقرة على الحلف لدعم قائلها للمقاتلين الأكراد في سوريا، حث وزير الدفاع الأميركي مارك إسبر تركيا على الكف عن إعاقة خطة الناتو للدفاع عن دول البلطيق وبولندا.

يسط نفوذها في المنطقة، من خلال

"فرعاً من حزب العمال الكردستاني في سوريا" وصنفتها تهديداً إرهابياً. ويهدد الطرف التركي اليوم بالفتو ضد مخططات الدول الأعضاء الأخرى، ما لم تعتبر وحدات حماية الشعب الكردية في برنامج الدفاع منظمة إرهابية، وهو مطلب بعيد عن التحقيق؛ فوحدات حماية الشعب الكردية تقاوم إلى جانب الأميركيين بنجاح ضد تنظيم الدولة الإسلامية. ببساطة شديدة لا يمكن وضع وحدات حماية الشعب الكردية على لائحة المنظمات الإرهابية، بينما تعتبر مقاطعة خطط الدفاع عن بلدان منطقة البلطيق تهوراً من تركيا. فهذه البلدان توجه، حسب الناتو، تهديداً حقيقياً من قبل روسيا، خاصة بعد أزمة أوكرانيا. وهي بلدان لا تعادي تركيا. والربط بين هذين الموضوعين؛ وحدات حماية الشعب الكردية وبرنامج الدفاع، مخاطرة كبرى تقدم عليها أنقرة.

لن يترك الأميركيون هذه الخطوة تمر دون عقاب، وحتى العملية العسكرية، التي أطلقت تركيا عليها اسم "نبع السلام"، وتوغلها في شمال سوريا، كانا إهانة من وجهة نظر الشركاء في حلف الناتو. فالعملية التي تلي المصلحة السياسية

لندن - تتفق الدول الأعضاء في حلف حلف شمال الأطلسي على الخط الذي تمثله روسيا، ودورها المساعد في النظام العالمي المتغير، إلا أن اللافت في متابعات قمة الناتو في لندن التحولات الإستراتيجية في منظومة الأمن الغربي، ومنها وضع الخط الروسي في المرتبة الثانية مقارنة بما تمثله الصين.

وما صدر من داخل اجتماعات الحلف، كما على هامشها، من مواقف وردود فعل، يشير إلى أن مسعى للتعامل بعقلانية وحتى التقرب من روسيا، رغم القلق الذي تسببه، خاصة في ظل السياسات الأميركية.

ولم يكن تصريح الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون بأن روسيا لم تعد عدوة إلا استفاقة علنية متأخرة عن السياسة المتبسة التي اعتمدها الرئيس الأميركي دونالد ترامب منذ أن بات رئيساً للولايات المتحدة.

وكان الرئيس الفرنسي قد قال، الأربعاء، إن روسيا لم تعد عدواً لحلف الناتو، مشيراً إلى أن العدو الآن هو الإرهاب الدولي. وكتب ماكرون في منشور على موقع فيسبوك "روسيا هي لا تزال تمثل تهديداً، لكنها أيضاً شريك في بعض الأمور".

ويستنتج خبراء أن أوروبا تسعى للتسابق مع واشنطن على التفاهم مع بوتين، على الرغم من أن أخطار

وكان الرئيس الفرنسي قد قال، الأربعاء، إن روسيا لم تعد عدواً لحلف الناتو، مشيراً إلى أن العدو الآن هو الإرهاب الدولي. وكتب ماكرون في منشور على موقع فيسبوك "روسيا هي لا تزال تمثل تهديداً، لكنها أيضاً شريك في بعض الأمور".

ويستنتج خبراء أن أوروبا تسعى للتسابق مع واشنطن على التفاهم مع بوتين، على الرغم من أن أخطار

وكان الرئيس الفرنسي قد قال، الأربعاء، إن روسيا لم تعد عدواً لحلف الناتو، مشيراً إلى أن العدو الآن هو الإرهاب الدولي. وكتب ماكرون في منشور على موقع فيسبوك "روسيا هي لا تزال تمثل تهديداً، لكنها أيضاً شريك في بعض الأمور".

ويستنتج خبراء أن أوروبا تسعى للتسابق مع واشنطن على التفاهم مع بوتين، على الرغم من أن أخطار

المعركة مع الصين تؤجل مواجهة الناتو لروسيا

يرغب في جعل الصين عدواً. وأضاف أن قدرات الصين العسكرية المتنامية -بما في ذلك الصواريخ التي يمكن أن تضرب أوروبا والولايات المتحدة- تعني أن على التحالف أن يعالج القضية بشكل جماعي. وذهب إلى الإفصاح عن التحول الأطلسي قائلاً "لقد أدركنا الآن أن لتساعد الصين تأثيرات أمنية على جميع الحلفاء". وأضاف "الصين تملك ثاني أكبر ميزانية دفاعية في العالم، وعرضت مؤخرًا الكثير من القدرات الجديدة وقادرة على الوصول إلى أوروبا بأكملها والولايات المتحدة".

أن ينتهج "الأطلسي" العقيدة الأميركية في مواجهة الصين، فهذا يعني أن الولايات المتحدة تعول على النزاع الغربي العسكري العملاق في إطار جملة الخيارات، السياسية والاقتصادية والعسكرية، من أجل التصدي للتمدد الصيني في العالم.

ولا شك أن إجماع الدول الغربية، سواء تلك الأعضاء داخل حلف الناتو أو تلك التي خارجها والمرتبطة باتفاقات معه، على الإقرار بـ"الخطر" الصيني، يحصر كل المنظومة الغربية من أغلال القيود السابقة التي كانت تحول دون تطبيع كامل ومرجع مع دولة "عدو" مثل روسيا، الأمر الذي يؤكد التغيير الحاصل في خارطة النظام العالمي.

السنوات الأخيرة "فقهياً" للهواجس الروسية وحرصاً على علاقة شخصية ممتازة مع الرئيس بوتين، فإن الرئيس الأميركي شيد سجله داخل البيت الأبيض على نواب التصدي لظاهرة الصين وتعاظم شأنها في العالم. ولا يحيد ترامب في هذا الشأن عن عناوين إستراتيجية كبيرة وضعتها الولايات المتحدة منذ عهد الرئيس السابق باراك أوباما، اعتبرت أن النقيض الحقيقي والأساسي للموقع الأميركي في العالم هو الصين، وأن كافة التناقضات الأخرى -بما فيها تلك التي مع روسيا- تبقى ثانوية يسهل التعامل معها.

أوروبا تسعى للتسابق مع واشنطن على التفاهم مع بوتين، على الرغم من أخطار روسيا عليها

ويكفي تأمل ما أعلنه الأمين العام لحلف الناتو حول الخطر الصيني لاستنتاج هذا "العشق" المستجد الذي أبداه الرئيس الأميركي للحلف. فقد قال بنس ستولتنبرغ إن على الحلف معالجة "التأثيرات الأمنية" الناتجة عن تصاعد الصين كقوة عسكرية، إلا أنه أكد أنه لا

روسيا على أوروبا أعلى بكثير -بحكم الجغرافيا- من أخطارها على أمن الولايات المتحدة.

ويعبر ماكرون عن القلق الأوروبي حيال جغرافيا روسيا، لكنه في المقابل يدعو إلى ضرورة الحوار مع روسيا حول موضوع الرقابة على الأسلحة، مشيراً إلى أنه يأخذ على محمل الجد مخاوف بعض الأعضاء في الناتو، وخاصة بولندا ودول البلطيق، بشأن نشر صواريخ "إسكندر" الروسية قرب حدودها.

وباتت دول الاقتصاد الأوروبي أكثر إدراكاً لثبات السياسة الروسية ووضوح التعامل معها، مقابل مزاجية السياسة الخارجية الأميركية، لاسيما تجاه أوروبا، وخصوصاً في عهد ترامب.

وكانت المستشار الألمانية سباجة في هذا المجال حين دعت في 22 نوفمبر إلى التعاون مع روسيا، رغم الخلافات القائمة لأن "علاقات حسن الجوار مع موسكو تصب في مصلحة برلين"، علماً أن برلين ما زالت متمسكة بخط الغاز الروسي الألماني نورد ستريم 2، على الرغم من موقف واشنطن وانتقادات ترامب.

في المقابل، يبدو أن ترامب الذي سبق أن اعتبر الحلف متقادماً، موحياً بعدم لزوميته، انتهج هذه المرة سلوكاً متعصباً لصالح الحلف منتقداً بشدة تصريحات نظيره الفرنسي حول "موت دماغ" يعاني منه الناتو. وإذا أبدى ترامب في



عودة لافتة إلى خارطة قوى النظام العالمي